من جراءات الشعراء في الرد على الأمراء

بقلم: نافل علي الحربي

١ـ معاوية بن أبي سفيان وشريك بن الأعور

قيل: إن شريك بن الأعور دخل على معاوية[١] وهو يختال في مشيته[٢] فقال له معاوية: والله إنك لشريك وليس لله من شريك، وإنك لأعور، والصحيح خير[٣] من الأعور، وإنك لدميم، والوسيم[٤] خير من الدميم، ففيمَ سوّدك قومُكَ ؟[٥] فقال شريك لمعاوية: والله إنك لمعاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت فسميتْ معاوية، وإنك ابن حرب، والسِلم خير من الحرب، وإنك ابن صخر، والسهل خير من الصخر، وإنك ابن أمية، وما أُمية إلاّ أَمَةً صفرتْ فسميتْ أميّة[٦]، فكيف صرتَ أمير المؤمنين؟ فقال معاوية أقسمتُ عليك إلا ما خرجتَ عني ٠ وخرج وهو يقول :

ايشتمني معاوية ابن حربٍ وسيفي صارمٌ ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوث ضراغمة تهش إلى الطعانِ[٧]
يعير بالدمامة من سفاهٍ وربات الحِجالِ من الفواني[٨]

٢ـ الأمير الحاكم من الرشيد والشاعرة المرهوصة العتيبة

يروى إن الأمير الحاكم من أسرة الرشيد، عند ما بلغه ما قالت الشاعرة المرهوصة

---

[١] **شريك بن الأعور**: ملك قبيلة، لأي بمعنى شيخ قبيلة في عصرنا الحالي ٠ ومعاوية: الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، أول من أسس الخلافة الأموية في دمشق، وهو ابن أبي سفيان من سادات قريش في العصر الجاهلي ٠

[٢] **يختال في مشيته**: يمشي مشية المتكبر المعجب بنفسه ٠

[٣] **خير**: أخير ٠ أي أفضل ٠

[٤] **الدميم**: قبيح المنظر ٠ **الوسيم**: الحسن الوجه ٠

[٥] **ففيمَ سوّدك قومك ؟**: لأي سببٍ جعلك قومك سيّداً عليهم ؟ ٠

[٦] **أُميّة**: جويرية ٠ تصغير أَمَة وجارية ٠

[٧] **يعير بالدمامة**: يعيب بقبح المنظر، أي يعدّ قبح منظري عيب في، وهو ليس عيب ٠ **ربات الحجال**: صاحبات الحجول، كناية عن الفتيات الوسيمات ٠ من **الفواني**: من الذين لا يعرف ممن هم ٠ والمعنى: الرجال مخابر ليس مناظر، والجمال ما يغني عن من لا أصل له ٠

[٨]

العتيبة في قصيدتها التي تفدي بها عشيرها جميع الناس، وخاصةً الفرسان الشجعان المهابين، والشيوخ بالذات منهم، وكافة الناس من بدوٍ وحضرٍ، وحتى الحاكم أبن رشيد، الذي انتزع الحكم، وهيمن عليه، بنفوذه، وقدراته التي لا تضاهى، وهو قولها:

يفدى عشيري كل برقاء على روق واللي بعيد الدار واللي هنيا
ويفداه من يركب على الخيل بعروق مع خيل ابن هندي وخيل المحيا
ويفداه ما نجنج من الحضر بالسوق وابن رشيد اللي على الحكم عيا

عند ما سمع ابن رشيد هذه الأبيات بعد أن نُقلت إليه طلب حضور الشاعرة المرهوصة إليه بحائل، فأتت إليه، فلما قدمت على مجلسه، قيل له: ها هي الشاعرة المرهوصة أتت إليك كما طلبت يا طويل العمر، فقال لها: حيا الله قعادة على شاربها ٠ فقالت: الله يسلّمك يا اللي شاربك طالعاً من شاربها ٠

فأحسن وفادتها إليه، وتركها تعود إلى أهلها معززة مكرمة٠

٣ـ الأمير متعب ابن رشيد والفارس شليويح العطاوي العتيبي

كذلك قال الشيخ الفارس المعروف شليويح العطاوي:

يفدي عشيري من عظامه تقله والحضر واللي ينزلون البراري
ومن عرض مايفداه غوج نتله وقطعاننا ومثنديات المـزاري
وابن رشيد الشمري فدوة له مودع فراقين القبايل وقاري
الطيّب يدمح لي ثمـــانين زله واللاش مـــاني عن زرياه داري

ولما أوصلت هذه القصيدة إلى الامير عبدالعزيز المتعب الرشيد، وكان هو الحاكم آنذاك، رد عليه بقصيدةٍ على نفس القافية، منها قوله:

يا رايح نية شليويح قله تراه بوجهي عن جميع الزواري
والله ما ألومه لو فداني بخله لحيث جارٍ لي من الحب جاري
قبله حسين الدل روحي يسله سل السلوك بمبهمات الأباري

٤ـ الأمير عبيد العلي الرشيد وابن حطاب

يروى إن ابن حطاب أمير الجوف السابق أتى يستأذن للدخول على أمير الجوف الحالي وقت ذلك، فقيل للأمير عبيد بن علي بن رشيد أمير الجوف: ابن حطاب يستأذن للدخول إليك، فقال عبيد معتقداً أن ابن حطاب لا يسمعه: خله يدخل الله يلعن حطاب الأقصى ٠

فدخل ابن حطاب على الأمير عبيد الرشيد، وهو يقول:

يا لاعنٍ حطاب يلعن أبوك أنت يلعن أبوك وصيرة العمر فاني

فلم يؤثر ذلك القول على الأمير عبيد الرشيد، لأن الحديث النبوي الشريف يقول: " **إذا تسابا المتسابان، فالبادي أظلم، مهما بلغ الأمر** "، وعبيد هو البادي بالسب أي اللعن ٠

٥ـ وطبان الدويش وزيد بن بحير

يروى أن للبراعصة من مطير صانعٌ يحذي الخيل، يدعى زيد بن بحير، وكان فارساً ورجلاً يحسب له كل حساب، وذات مرّةً فك زيد بن بحير حديدَ حصانِ وطبانِ الدويش بطريقته الخاصة، وشباه فرساً له، معتقداً أن لا أحد يراه، ولكنه رُرئي فبلغ بما فعله بحصانِ وطبانِ وطبانَ نفسه، فلما حضر ابن بحير برفقة شيوخ البراعصة وهم السورة، ذات يومٍ إلى وليمة غداء عند الدويش الشيخ آنذاك، وكان وطبان الدويش الآخر موجوداً في المجلس ضمن الحضور، فقال وطبان:

يا ابا القنص حطيت بالصدر لنّه خلْ الخياله صنع ابوك الزنانيح[١]
ابوك دايم فوق عيرٍ وشنّه جرّة حميره للمضبّه مشاويح[٢]
جرّة حميره كل مقرٍ وطنّه يرفا جنوبه بالحصى والصلافيح[٣]

---

[١] **أبا القنص**: كنية من اعتاد على الصيد والقناصة، بمعنى يا كثير القنص ٠ **لنّة**: حكة فى الصدر، أي شك، ووسواس، ويوضح معنى اللنة أي الحكة فى الصدر الحديث الشريف: " **والإثم ما حَكَّ في صدرك، وخشيت أن يطلع عليه الناس** "، والحديث " **وإياكم والحَكَاكَات فإنّها المآثم** " أي احذروا فعل الشكوك، والوساوس، فإنها آثام، والمآثم أو الآثام: جمع الإثم، وهو فعل ما لا يحل فعله، ومن معاني الإثم الخطيئة جمع الخطايا ٠ **الزنانيح**: الحديد ٠

[٢] **عير وشنة**: حمار ذكر، وعليه قربة ماء بالية قديمة ٠ **للمضبة**: إلى مكان وجود الضبان بكثرة٠ **مشاويح**: مساريع٠

[٣] **مقر**: آبار مياه صغيرة متجاورة متقاربة ٠

فرد عليه زيد بن بحير قائلاً:

حطيتها من شان خلفاتـهنّه شعلٍ ترايع يم حس المصاليح[1]
افك عليها فاطرٍ لي مضنّه لا عطّفوها نطحت خشمها الريح[2]
أركب عليها وألحق العود فنّه إن كان هجو عاشقين الطماميح[3]
والطيب أخذته غصب من غير منّه والأصل ما ينفع على خامد الريح

فيروى إن وطبان الدويش قال: تعقب ٠ قال ابن بحير: يعقب اللي ما يقول الصحيح، فقال الدويش: قم انقلع، فقام، فقاموا معه البراعصة، وجلوا إلى قبيلة قحطان، حفاظاً على كرامة جارهم، وصانعهم، ابن بحير، فندم وطبان الدويش على ما بدر منه، فاسترضاهم، فعادوا ٠

والملاحظ في هذه الجُرأة الأدبيّة الحسنة إن ابن بحير قد أُلهم حكمةً بالغةً وضعها في بيتٍ شعري صالحٍ أن يضرب مثلاً دائماً وأبداً، وهو قوله:

والطيب أخذته غصب من غير منّه والأصل ما ينفع على خامد الريح

ويشهد لذلك قول الشاعر عبد الله هذال القريفة المطيري:

المراجل ما تهيا هالسويا كود من عض النواجذ في سنونه

أي الطيب لا يحصل لمن لا يجتهد في السعي للحصول على، ومتى أجتهد المرء بفعل ما يحمد، ويشكر عليه، وتروّى في معرفة كيف يدرك مكارم الأخلاق، والمحامد، والخصال الحميدة، استطاع أن يعرف كيف ينالها، كذلك يشهد له بالشجاعة الأدبية قول الشاعر العربي:

رتب الشجاعة في الرجال جلائل وأجلها شجاعة الآراءِ

---

[1] **حطيتها من شأن خلفاتهنه**: فعلت ذلك من أجل تلد فرسي حصاناً أو فرساً فأحمي عليه خلفات إبلي٠ أي وضعت اللثّة في صدرك، من أجل خلفات إبلي مثلما لك، ولغيرك إبل، تعدون العدّة للدفاع عنها، وأنا كما يعرف الجميع رجلٌ فارسٌ شجاع، مثله مثل غيره ٠

[2] **مضنّة**: نفيسة جديرة بأن يضن بها،أي يبخل بها٠ **لاعطّفوها**: إذا درروها ليحلبوها في واجبات الضيافة أو غيرها ٠

[3] **أركب عليها وألحق العود فنّه**: أي من عادتي أنني أركب على فرسي التي شبيتها حصانك أو أركب على انتاجها من حصانك وأفعل ما كنت أفعله في الماضي وهو أنني أفتك لإبلي عليها أي اهزم الغزو إذا هجموا عليها ٠ **ألحق العود فنّه**: أفعل بالرمح الذي هو عودٌ طويل وفي رأسه حربه كما يجب عليّ وعلى غيري أن أفعل به عند اللزوم للفعل به ٠

ويقول المتنبيّ :

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللئيمِ[1]
وكلُّ شجاعةٍ في المرءِ تُغني ولا مثل الشجاعة في الحكيمِ[2]
وكم من عائبٍ قولٍ صحيحاً وآفته من الفهم السقيمِ[3]
ولكن تأخذن الآذان مِنْهُ على قَدْرِ القَرَائِحِ والعُلُومِ[4]

---

[1] **الجبان**: نقيض الشجاع ٠ يقول: إن لؤم طبع الجبان يريه العجزَ عن اقتحام العظائمِ في صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل، وليس الأمر كذلك، وإنما ذلك لسوء طبعه الردئ وصغر همته ٠

[2] **تغني**: تكفي ٠ يقول: إن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت تغني صاحبها وتكفيه مؤنة النقيصة، والإذلال وتحميله ما يكره، وتدرأ عنه العار، والعَيْب، وكل ما يُعيّر به ويستقبح عليه فعلَه من قولٍ أو فعلٍ، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره، لأنها تكون حينئذٍ مقرونة بالحزم، وضبط وإحكام الأمر، والاستعداد له بالثقة، والرأي السديد، فتكون أبعد عن الفشل، أي أن العقل لا يغني عن الشجاعة، وهي تغني كيفما كانت فتستغنى عن العقل، ولكن إذا اجتمعا تعززت الشجاعة بالعقل ٠ وفي هذه المعاني يقول المتنبيّ أيضاً:

الرأي قبل شجاعة الشجعانِ هو المحل الأول وهي المحل الثاني

أي: العقل مقدم على الشجاعة، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أتت على صاحبها وأوردته موارد الهلاك، ولم تُعد شجاعة، وإنما هى خرق ٠ والحاصل أن العقل فى ترتيب المناقب هو الأول، والشجاعة ثانٌ له ٠

[3] **الآفة**: العلة؛ أي علة القول ٠ قال أبو سعيد الضرير لأبي تمام: يا أبا تمام لِمَ لا تقول ما يفهم ؟ فقاله: يا أبا سعيد: لَمَ لا تفهم ما يُقال ؟

[4] **القريحة**: طبيعة الإنسان التي جُبل عليها، لأنها أول خلقته، ويُقال لفلان قريحةٌ، يراد استنباط العلم بجودة الطبع ٠

ومعنى كلامه: إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قريحة صاحبها وعلمه: يعني أن الغبي والجاهل إذا سمع شيئاً لم يفهمه ولم يعلمه، وكل أحدٍ يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه، فإذا عاب إنسانٌ قولاً صحيحاً فذلك لأنه لم يفهمه، وإنما أتى من سقم قريحته ٠ هذا معنى معنى رائع بديع، وهو كثير، قال جل شأنه: ((وإذ لم يهتدوا فسيقولون هذا إفكٌ قديم))، قال أبو العلاء المعري :

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ صُورتَهُ والذَنبُ للطرف لا للنجمِ في الصغرِ